

مؤتمر الأزهر لمواجهة التطرف والإرهاب

كلمة مفتي أوكرانيا

الشيخ أحمد تميم

مخاطر التطرف ودور المرجعيات الدينية في مواجهته

المحور الثاني: دور العلماء والمؤسسات الدينية في مواجهة الغلو والتطرف

مدينة القاهرة: 11-12 صفر 1436 هـ

الموافق 3 - 4 ديسمبر 2014 ر

مخاطر التطرف والسبل الناجمة لعلاج ظاهرة التكفير الشمولي

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه الغر الميامين ومن تبعهم بإحسان الى يوم الدين. وبعد،

يقول الله تعالى: " وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً ". وقد ميز الله تعالى هذه الأمة المحمدية بأن جعلها خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر. وقال الإمام أبو جعفر الطحاوي عن الاسلام: " هو بين الغلو والتقصير وبين التشبيه والتعطيل وبين الجبر والقدر وبين الأمن والإياس ". فالاسلام هو دين الاعتدال ولا محل فيه للتطرف. إن المذهب الحق الذي كان عليه السلف الصالح هو ما عليه الأشعرية والماتريدية عبر الأزمان وهم اليوم ما يزيد عددهم على المليار نسمة. الرسول عليه الصلاة والسلام أخبر بأن جمهور أمته لا يضلون وذلك من خصائص هذه الأمة، ويدل على ذلك ما رواه الترمذي وابن ماجه وغيرهما: "إن الله لا يجمع أمتي على ضلالة" وعند ابن ماجه زيادة: " فإذا رأيتم اختلافاً فعليكم بالسواد الأعظم ".

يقول رسولنا الكريم: "إن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه أوشك أن يعمهم الله بعقاب". ومعنى الحديث أن الله ينتقم منهم إذا تركوا النهي عن المنكر، ينزل بهم العقاب نقماً ونكبات في الدنيا قبل الآخرة. ولا شك أن النقم التي تنزل بالمسلمين في هذه الأزمنة من شؤم ترك تغيير المنكر والنهي عنه. ولما كثرت إطلاق التكفير في زماننا وتعددت ألوانه ووسائل نشره ولو اختلفت أسماء الناقلين له ولو تحت اسم الفتوى والتدين كان من الواجب تحذير الناس من المكفرين والمضللين ومقالاتهم وبيان حالهم للناس. فمن البلايا الكبرى التي تعيشها مجتمعاتنا مجموعة فتاوى خطباء السوء الداعين الى شمولية التكفير والى سفك الدماء وإن الوهن الذي نعانيه مرده عدم مجابهة الإرهاب ومحاربة التطرف والدفاع عن دين الله كما هو مطلوب شرعاً وذلك لقلة من يقوم بالتحذير الشرعي الواجب بالأدلة الدامغة لردع المنحرفين وحماية الشباب والأجيال الصاعدة منهم مع الحكمة والموعظة الحسنة.

فمن الغلو في الدين نرى من أنكر مذاهب أهل السنة والجماعة وقال أن أتبع مذهباً من المذاهب الأربعة يستتاب فإن تاب فيها والإاقتل. وهناك من قام بتكفير الحاكم المسلم والرعية لمجرد أنه حكم في مسألة واحدة بالقانون الوضعي وتجراً بالقول: "إن وجود الأمة المسلمة يعتبر قد انقطع منذ قرون كثيرة". ويدل على ذلك قوله أيضاً: "والذين يظنون أنهم مسلمون بينما هم خاضعون لشرعية من صنع البشر واهمون إذا ظنوا لحظة واحدة أنهم مسلمون! إنهم لا يكونون في دين الله لحظة واحدة وحاكمهم غير الله وقانونهم غير شريعة الله".

ومن جمع بين فكري الغلو والتطرف في زمننا الإرهابي يوسف القرضاوي الذي امتدح حركات الإرهاب قائلاً: "إن هذا الغلو الذي انتهى بهؤلاء الشباب المخلصين الغيورين على دينهم إلى تكفير من خالفهم من المسلمين واستباحة دهم وأموالهم"، اهـ.

وحري بنا أن نبين أن نمو العولمة الحديثة خلفت وراءها الكثير من الأزمات الاقتصادية والاجتماعية والصراعات بين ممثلي الثقافات خاصة وأن سياسة القطب الواحد جعلت رأس الهرم فيها بناء التكامل الاقتصادي للدول الكبرى وأفرزت هيكلية خاصة على أساسها ومن أخطر أمورها اعتماد نظرية توحيد الأديان لتكون هناك عقيدة جامعة تقف بوجه من يرفضها. ومن نتائج ذلك وجدنا أن سقوط المعسكر الشرقي أفرز الكثير من التحولات في المجتمعات والدول من تقسيم وتجزئة إضافة الى نمو حركات الغلو وخاصة تلك التي أضحت ظاهرة للعيان في الدول والمجتمعات الاسلامية مما أدى الى تصوير تلك الظاهرة

وكأنها العولمة المضادة والمبنية على التطرف العقائدي باسم الاسلام. مما يشجع في نمو الخط الأول تحت شعار التسامح والعمل على إنقاذ المجتمعات من الفقر والإرهاب وإنماء إقتصاد الدول النامية وغير ذلك.

إن العالم الإسلامي يعيش الآن محنة من أصعب المحن مع اشتداد الفتن والمكائد المنتشرة في المعمورة وأقساها خطورة إصطناع الحروب الدينية وإظهار الدين الإسلامي وكأنه هو الخطر المهدد لاستقرار المجتمعات.

ولابد من التذكير أن الاضطرابات والفتن في العصر الحديث التي ضربت استقرار عالمنا الإسلامي ارتبطت مباشرة بالقضية الفلسطينية وحق شعبها وموقف الدول النافذة من هذه القضية مما سبب بانتشار الفكر المتطرف وتكفير الحكام والمجتمعات ابتداء باسم الجماعة الاسلامية الى حزب التحرير الى غيرها من التسميات باسم أهل السنة وخاصة استغلالها للعالم الغربي باسم الحريات الى أن ظهرت القاعدة وأخواتها الى ما يسمى اليوم بالدولة الاسلامية للعراق والشام. كما ونجد العديد من الحركات الأخرى باسم الشيعة يزيد انتشارها في العديد من البلدان بما في ذلك خارج المناطق الشيعية تحت شعار حماية القضية الفلسطينية وتحقيق تحرير فلسطين مما سبب بزيادة النعرات الطائفية والتنافس على توسعة رقعة نفوذ انتشار كلا الفريقين ونجد هنا أن أهل السنة والجماعة تجر للوقوع بين فكي كلا الفريقين.

وخلاصة الأمر أن العصر الحديث بدأ أكثر فأكثر يغرق في حروب من لون جديد يطفو على سطحها الصراع الديني والعقائدي بشكل يصعب حصره ولا يخفى على أحد دور الاعلام الحديث ووسائل الانترنت والتواصل الاجتماعي ونرى من الأهمية بمكان العمل على كافة المستويات للحفاظ على الاستقرار والسلم الأهلي للمجتمعات الاسلامية ونخص بالذكر أهمية الاعتناء بتحسين العامة بنشر العقيدة المحمدية عقيدة أهل السنة والجماعة. لذا فإن مسؤولية علماء أهل السنة والمؤسسات الدينية لها الدور الرائد والأبرز في مواجهة الحرب الجديدة على الاسلام.

إذا ما نظرنا إلى عصرنا الحاضر نجد أن جانبا من القصور الذي تعانيه الأمة ناتج من قلة العلماء العاملين على حماية العامة من الفساد العقائدي، لذلك نجد أن الساحة الدعوية سادها التسييس وقل فيها التعليم والتدريس. وهو ما أخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله: "إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ" وَلَكِنْ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ وَكَيْفَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ إِذَا لَمْ يَهْدِهِمُ اللَّهُ فَمَا لَهُ مَدِينًا".

لذلك فمن واجبنا تفعيل كل طرق النقد من أجل الارتقاء بالعمل الإسلامي من جهة، وضبط الساحة الشرعية من جهة ثانية وعدم ترك العامة فريسة لساعة لادعاء العلم والمعرفة، حملة الالقاء جزافا. فلا بد من الرجوع الى الضوابط الشرعية في تسمية فلان بالعلامة او بالحافظ او بالمحدث او بالمجتهد. كما أنه لا بد من تحديد مواصفات من له اهلية الفتوى. إن أولى اولويات الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فضح من يتستر بغطاء الدين لضرب المجتمع من الداخل.

فإننا في زمن اتسعت فيه رقعة الجريئين على النار وانتشرت فتاويهم المضللة للعامة وكدنا لا نسمع من يقول عن مسألة: "لا أدري". قال ابن عمر: "إِنَّ مِنْ أَكْبَرِ مَهَالِكِ ابْنِ آدَمَ أَنْ يَقُولَ بِمَا لَا يَعْلَمُ أَنَّهُ جَائِزٌ فَيَحْلِلُهُ".

ولا بد من التعاون بين الحاكم والعالم للمساعدة على توجيه الضوء على القضايا الكبرى وأساليب حلها بما يرضي خالق العباد فعلاقة الحاكم والعالم في حل القضايا الكبرى ورفع الأذى عن الناس سبيل لنشر العدل والاحسان وفيه الرخاء والرقاء وسلامة أمن المجتمعات.

من هنا يعلم أن العلاج بمجموعه لدرء مخاطر التطرف ولجم الحركات الإرهابية وتفتيتها يتألف من وسائل علمية وسلوكية واجتماعية وسياسية تعود كل هذه الوسائل إلى فهم الدين على ما هو عليه، فهو الذي يضبطها ويحصرها في حيز الاعتدال، فحينئذ يعرف الحاكم حقوقه وواجباته دينيا، ويعرف أفراد الشعب بكافة مستوياتهم حقوقهم وواجباتهم دينيا.

دور الأزهر الشريف : ينبغي تفعيل دور الأزهر الشريف وتطويره وتحديث آليات عمله وتوسيع امكانياته وترشيد خطابه ليكون منبرا جامعا ومرجعا دينيا موحدًا لمدارس أهل السنة والجماعة والتنسيق العلمي بين دور الفتوى لما لذلك من الأثر البالغ الأهمية على العلاقات فيما بين شعوب الدول الإسلامية من جهة، وعلاقتها مع غيرها من الثقافات والدول من جهة أخرى. مما يساهم في الحد من ظهور المنظمات والحركات المسيسة للدين والجريئة بكذبها أنها المرجع العالمي أو الإقليمي للشعوب المسلمة والناطقة باسمها.

إن الحرب الناجمة ضد التطرف هي حرب علمية لا بد أن ترافقها تدابير وقائية بمنع المنحرفين من التمرس وراء المناصب التي تتيح لهم التحرك والتحدث زورًا باسم الإسلام، والحيلولة دون اعتلائهم المنابر المخصصة أصلاً لنشر حقائق الإسلام ومفاهيمه البعيدة كل البعد عن التطرف والغلو.

وهنا يبرز بوضوح دور العلماء والمشايخ والدعاة المعتدلين الذين هم خط المواجهة الأول وخط الدفاع الأقوى الذي في حال سقوطه يصبح الطريق أمام هؤلاء المتطرفين مُعبّداً، وتصبح أهدافهم سهلة التحقيق. ويتجلى الدور الذي ينبغي أن يقوم به أهل العلم والمعرفة من أصحاب الاختصاص في التعليم الديني والتربية الأخلاقية والاجتماعية لتعمل الموازنة الحقيقية بين الالتزام بأسس الدين الحنيف والقيام بدور المواطنة في المجتمع من خلال أمور عدة نرى تحقيقها من خلال تعزيز دور الأزهر الشريف الريادي في مقارعة فرق التكفير الشمولي عن طريق:

- 1- كشف أستاذهم وتجريدهم من أقتعتهم بنشر العلم السليم.
- 2- إقامة الحجج الساطعة والبراهين القاطعة عليهم.
- 3- بيان بطلان ما يذهبون إليه، وفساد ممارستهم المستندة إلى أفكارهم السوداء، وتحريفهم لمعاني الشرع الحنيف.
- 4- مكافحة ظاهرة التطرف بتحسين المجتمع من خلال العمل على نشر العلم الديني الواجب بين الكبير والصغير على قواعد الوسطية والاعتدال التي دعا إليها النبي محمد صلى الله عليه وسلم.
- 5- الاهتمام بتربية الناشئة بإقامة المؤسسات التعليمية المتخصصة والمتوافقة مع العلوم العصرية.
- 6- الاهتمام بإقامة المعاهد والجامعات الدينية الناطقة بغير العربية والتي تخرج العاملين في الحقل الديني الإسلامي في بلاد الأعاجم لإغلاق الباب على المتطرفين المتاجرين باسم الدين.
- 7- الاهتمام البالغ بتثقيف المرأة المسلمة وإثبات أنها عضو فاعل في المجتمع وأهمية رعايتها لبيتها.
- 8- الاهتمام بفتح مراكز إعداد الدراسات والأبحاث والترجمة وفتح الفروع التابعة إليها:
 - من أجل توحيد المناهج التعليمية في الدنيا.
 - والعمل على تبسيط صياغة كتب أهل السنة المعترين عبر العصور مع الحفاظ على الثوابت بشكل يتناسب مع التطور التقني الحديث والبيئة العصرية بكل جوانبها.
 - العمل على توحيد المصطلحات الدينية في اللغات الأجنبية خاصة في المتشابه.
 - تدقيق وإعتماد المؤلفات الدينية المعتمدة لحماية القراء من كتب التطرف الديني.
 - 9- إعداد الدورات التأهيلية للأئمة والوعاظ بما يتناسب والبيئة التي يعملون فيها.
 - 10- اعتماد الإجازات في تحصيل العلم بالتلقي كأساس يخول الواعظ والمدرس القيام بوظيفته.
 - 11- تأسيس المجلس الأعلى للتنسيق بين دور الفتوى والمنظمات الدينية لأهل السنة.

إننا ندعو الجميع إلى الاهتمام بهذا الموضوع وأخذة بعين الأهمية والرعاية لأننا ذوي حضارة لن نتخلى عنها. فرغم المسأة التي تسود مناطقنا إلا أننا لسنا وعاء فارغاً يملأ بحسب رغبات تلك الفئة او ذاك الفريق.

إن عين الشعوب الاسلامية والأقليات الاسلامية في المعمورة على الأمة العربية وحالتها متأثرة تأثيراً مباشراً بما يدور في العالم العربي. والذي أردت ان ألفت نظركم إليه ان الحالة التي وصلت اليها الأمة الاسلامية تبين إنها كاليتيم الذي لا كافل له مع ما عندها من تراث عريق وماديات عظيمة الا ان عدم التواصل بين علماء الأمة والتناصح فيما يرضي الله وإيصال كلمة الحق الى أولياء الأمور والعامّة جعل البعض منهم يتخبط بين الحق والباطل ولا يعرف المرجعية السليمة لحل مسائله وقضاياها.

كما أن للمؤسسات التي تشرف على شؤون الإئمة والخطباء والمساجد دورًا أساسيًا ومهمًا يتجلى من خلال النقاط التالية

- ترشيد الخطاب الإسلامي للعلماء والمشايخ والدعاة وأخذهم دورهم في بث التعاليم والمفاهيم الإسلامية الصحيحة التي تدعو إلى الاعتدال وتصديهم ومحاربتهم لانتشار الأفكار المتطرفة ، ولنجاح هذا الأمر لا بد من تسمية الأشياء بمسمياتها وكشف أسماء رؤوس التطرف وأفكارهم وكتبهم ومؤسستهم .

- التدقيق والتمحيص في انتاءات أئمة المساجد وخطباء الجمعة ومدرسي المواد الدينية في المؤسسات التربوية والعاملين في المحاكم الشرعية وفي دار الإفتاء والتنبيه إلى عدم وجود أشخاص ينتمون إلى هذه الحركات المتطرفة من الذين يبثون من خلال مواقعهم الأفكار الهدامة التي تحرض الشعب على الفتن والقتال.

- اعتماد سلسلة من الكتب والمراجع الدينية العلمية المعتدلة ونشرها في كل المؤسسات التربوية.

- الحد من انتشار الكتب والأشرطة التي تعتمدها الجماعات المتطرفة وتروجها لتشويش المجتمع المسلم.

- عدم التسهيل أو التشجيع على الاستماع لمحاضرات وندوات ولقاءات، بعضها قد يكون عبر وسائل الإعلام، لشخصيات تُظهر في العلن عدم انتمائها لأي تنظيم ولكنها في الخفاء تعمل على نشر الأفكار المتطرفة.

إضافة إلى ذلك هناك دور مؤسسات المجتمع الأهلي الاجتماعية بما يشمل مؤسسات التعليم التي لا بد أن تعمل مشتركة للتدرج في تثقيف الشعب بالثقافة والعلم الديني مع شرح المفاهيم الإسلامية العظيمة التي تشكل منهجاً معتدلاً بعيداً عن كل غلو وتطرف. ويكون ذلك اعتباراً من فئة الأطفال مروراً بفئة الشباب وصولاً لكبار السن ، فالعمل المنظم المتدرج سيكفل بإذن الله تعالى صد هذه الجماعات المتطرفة وتقويض بنيانهم والحد من توسعهم وانتشارهم لأنهم سيجدون أنفسهم بمواجهة الشعب الذي يرفض أفكارهم التي تعارض ما تعلمه من المفاهيم السليمة، وبالتالي فإن الشعب هو الذي سيواجههم وليس الدولة بشكل مباشر، والشعب هو الذي سيقول كلمة الفصل لأنه سيسمع العلم الديني الصحيح في المدارس والجامعات والمعاهد وفي الوسائل الإعلامية كما في الشوارع والنوادي والمنتديات.

في ختام هذه الكلمة نتوجه الى الحضور الكريم الذي قدر الله لنا أن يجتمعنا سويا في هذا البلد المضيف بالدعوة الجادة الى بذل كل نفيس والعمل بتقان وإخلاص من أجل التعاون للحفاظ على الإرث المحمدي للأجيال القادمة وذلك بإحياء نشر العقيدة الاسلامية الحقّة كما بينها إماما أهل السنة والجماعة أبو الحسن الأشعري وأبو منصور الماتريدي فهي الحصن الحصين والقول المتين للتصدي للقضايا التي عصفت بالأمة على مر العصور.

وخير ما أختم كلامي به قول الله تعالى: تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ

لِلْمُتَّقِينَ .